أنماط تجريبية لممارسة التعذيب في الجزائر

محمد الغاشمي

1. مقدمة 46
2. أنماط ممارسة التعذيب 46
3. نظاميات الموت تحت التعذيب 52

© 2003-2011 Hoggar | www.hoggar.org

1. مقدمة

قامت اللجنة الجزائرية للمناضلين الأحرار من أجل كرامة وحقوق الإنسان في سنة 1995م بنشر كتاب بعنوان *الكتاب الأبيض حول القمع في الجزائر (1991 – 1994)*. وقد مُنع الكتاب في الجزائر وفرنسا، فلم يحظى لحد الآن بأيّ اهتمام لتحليله أو دراسته نقدياً.

واستناداً إلى هذا الكتاب، تقدم هذه المقالة تحليلاً إحصائياً لظاهرة القمع، وبشكل خاص لظاهرة التعذيب، يحاول إبراز – ولو بشكل تقريبي – بعض النظاميات في إدارة التعذيب من قِبل الطغمة العسكرية. فالعيِّنات التي نقدمها في هذا الملخص والدراسة الإحصائية مأخوذة من مجموع الشهادات التي جمعتها اللجنة الجزائرية للمناضلين الأحرار من أجل كرامة وحقوق الإنسان، والتي نشرت في *الكتاب الأبيض*.

ونظراً للظرف الطارئ وقلّة التحضير في جمع الشهادات يترجّح أنّ نموذجية العيِّنات المتناولة هنا محدودة، وبالتالي فأنّ التفسيرات المستنبطة حول طبيعة وحجم الممارسات ليست نهائية، غير أننا نعتقد أنّ هذا العمل نجح في اكتشاف بعض الجوانب المميِّزة للعملية القمعية الواسعة التي يشرف عليها جلادّو النظام. وسنذكر الفترة المناسبة لكل حالة في مجموع العيِّنات.

2. أنماط ممارسة التعذيب

إنّ التعذيب إجراء يبدأ باعتقال عنيف، وغالباً ما يكون الاعتقال ليلاً أثناء حظر التجوّل، ويتميّز بتدخّل منظّم من قِبل أشخاص مقنّعين ومسلّحين، ويتلفّظون بالكلام الفاحش، مع الشتم البذيء، وكثيراً ما تحدث تطاولات كتكسير الأثاث والأواني مع سرقة بعض الأغراض الثمينة (كالأموال والمجوهرات وغيرها) والأجهزة الكهرومنزلية، وتصحب هذه الاعتقالات حتى سرقة السيارات!

إنّ طرق التعذيب هي نفسها، سواء في محافظة صغيرة للشرطة لحيّ ما، أو في المراكز "المختصّة" مثل المدرسة العليا للشرطة بشاطوناف، التي أطلق عليها الضحايا اسم "المدرسة العليا للتعذيب"، والمخفر المركزي للجزائر العاصمة ومراكز الأمن العسكري لإبن عكنون وبوزريعة. وتتراوح طرق التعذيب من مصيبة الخِرقة (أو الشيفون) إلى الاغتصاب، مرورا بالتيار الكهربائي، وقلع الأظافر، والضرب بالعصيّ، والحرق

© 2003-2011 Hoggar | www.hoggar.org

ببقايا السجائِر وبالكاوية الكهربائية وبنافثة النـــار، والتعليـــق في الســـقف بواســـطة الأغـــلال لعدّة أيام، والجَلد والثـــاقبة الكهربائـــية.

ولا تُحترم مدّة المراقبة رغم أنها مدّدت إلى اثنا عشر يوماً في إطار القانون «المضـــاد للإرهاب». فمعدل مدّة المراقبة هو ثلاثون يوماً بل وتوجد شهادات تـــروي حـــالات دامت فيها المراقبة ما بين ثلاثة أشهر وثمانية أشهر.

إنّ محضر الشرطة هو مجرّد سيناريو خيالي يُملى تحت التعذيب من قِبـــل الشـــرطة ليكرره الضحية غصباً عنه حتى ينـــجو من أهـــوال التعذيب، ثمّ يوقّعه وهو معصوب العيـــنين.

إنّ التفسيرات المستنتجة من التحليل الإحصائي للعينة التاليـــة المســـتخرجة مـــن *الكـــتاب الأبيض* يعتريها بعض النقص الذي قد يؤثر على مدى تمثيل العيِّنة للواقـــع، ومع ذلك تبقى الدراسة التحليلية مفيدة جدّا، كما سيتبين لنا أدناه.

احتوت العينة على 110 شـــهادة وقعت أحداثها في ولايات الجزائـــر والبليـــدة وبومرداس بين يناير 1992 وسبتمبر 1994. وكان سنّ الضحايا في العيِّنة يتراوح بين 14 سنة و42 سنة.

رُتِّبت الأماكن التي جرى فيها التعذيب في ثلاثة أصناف: محافظات الشرطة، مراكز الدرك الوطني وثكنات الأمن العسكري.

كما صُنّفت وســـائل التعذيب المحصـــاة كالتالي: الاعتداءات الجسدية والجَلـــد، الضرب والجرح بالسلاح الأبيض والهراوات، التعذيب بالاختناق، التعذيب بالعقـــاقير الصيدليّة، التعذيب بالكهرباء، التعذيب بالنار، التعذيب بالتمثيل والتشويه، التعـــذيب بالسلّم، وبالكرسي، وبالتعليق، الإضعاف والاستنفاذ والعزلة، الاغتصاب والاعتـــداء الجنسي، والتعذيب النفساني.

إنّ الرسم البياني في الشكل رقم 1 يمثّل عدد المعذَّبين بدلالة الزمن. ونلاحـــظ مـــن خلال هذا الشكل أنّ التعذيب قد بـــدأ مباشرة بعد انقلاب 11 يناير 1992 رغم أنه في ذلك التاريخ لم تكن الجماعات المسلحة قد تشكلت، و لم تكن الجبهة الإسلامية قد اتخذت موقـــفاً سياسياً بعد. إنّ تصعيد النظام لموجة التعذيب فوراً بعد الانقلاب كان يهدف إلى إثارة الخوف والرعب لردع الانتـــفاضة الشعبية المتوقَّعـــة بعـــد توقيـــف المـــسار الانتـــخابي.

© 2003-2011 Hoggar | www.hoggar.org معهد الهوڤار

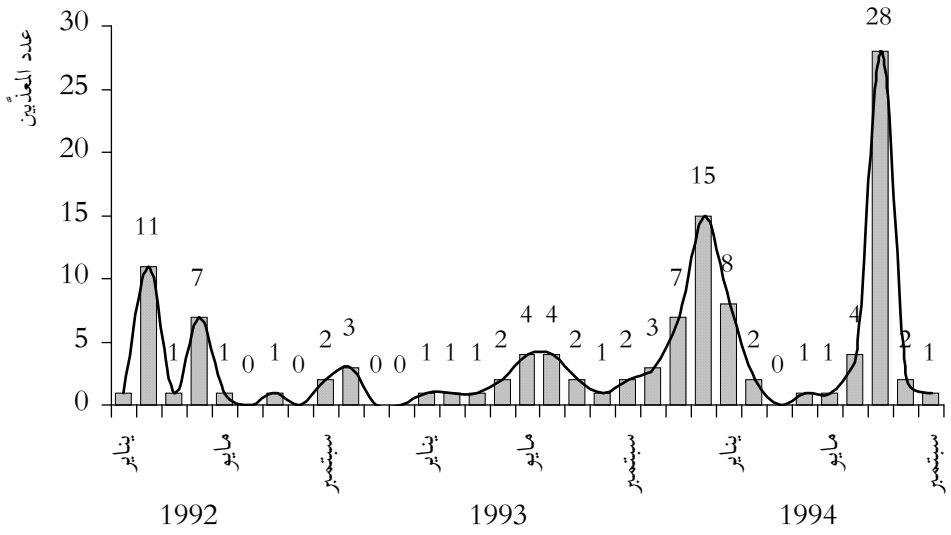

الشكل 1: عدد المعذَّبين بدلالة الزمن من يناير 1992 إلى سبتمبر 1994.

ومن شهر مايو 1992 إلى مارس 1993 اتّضح أنّ التعذيب بدأ يتقلص، ويمكن تفسير ذلك بأنّ النظام – الذي لم يكن يتوقع ردّ الفعل الشعبي المتصاعد – كان لا يزال متردداً بين الحل السياسي والحل الأمني، ولكن ابتداءً من شهر أبريل 1993 بدأت موجة جديدة من التعذيب، لأنّ النظام آنذاك قد آثر الحل الاستئصالي النهائي والكامل للإسلاميين. إن حالات التعذيب قد بلغت ذروتها في شهر نوفمبر وديسمبر 1993، وشهر يناير 1994 حيث تزامنت تلك الفترة مع التحضير لعقد ندوة «الوفاق الوطني» من قِبل العسكريين، وكان القصد إذن تخويف الشعب مرة أخرى لإرغامه على قبول مشروع الجيش. وفي أشهر يونيو ويوليو وأغسطس 1994 نلاحظ تصعيداً جديداً في حالات التعذيب ويمكن ربط ذلك بتوحيد الجماعات الإسلامية المسلحة الذي تمّ في شهر مايو 1994.

لو نمثّل الآن عدد المعذَّبين حسب السّن نحصل على البيان في الشكل رقم 2. نلاحظ من خلال هذا البيان أن الشريحة الأكثر تضرراً من المعذّبين هي الفئة التي يتراوح عمرها ما بين 20 عاماً و30 عاماً، التي تُمثّل نسبة 63 % من مجموع المعذّبين

© 2003-2011 Hoggar | www.hoggar.org معهد الهوڤار

الذين تمّ إحصاؤهم. وتعتبر هذه الشريحة الفئة النشطة في المجتمع، لذا فهي الأكثر عرضة للقمع.

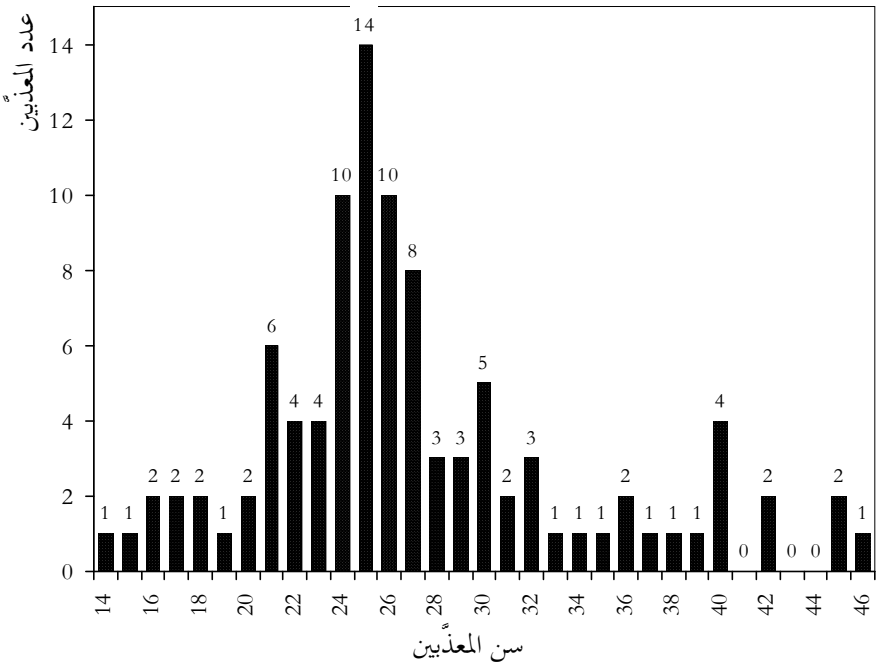

الشكل 2: إحصائية المعذَّبين بدلالة السن (من 14 إلى 46 سنة).

نحلل الآن تردد وتوزيع مختلف طرق التعذيب المستعملة. لهذا نعرض في الشكل رقم 3 عدد المعذّبين بدلالة أنواع التعذيب مع النسب المئوية. يتضمن الشكل 3 مختلف طرق التعذيب الواردة في *الكتاب الأبيض*. نلاحظ أن الاعتداءات الجسدية كالجَلد، والضرب، والجرح بأدوات التعذيب، يتعرض لها جميع المعذّبين بدون استثناء. كما نلاحظ أن التعذيب بواسطة الاختناق منتشر بكثرة، حيث نجد 69 % من المعذّبين قد تعرّضوا لهذا النوع من التعذيب. أمّا التعذيب بالكهرباء، و التعذيب النفسي، فيمارَس كل منهما على حوالي 50 % من المعذّبين في حين أن التعذيب بواسطة السلّم، والكرسي، والتعليق يُمارَس على ثلث عدد المعذّبين، أي نسبة 33 % من مجموع الحالات.

إن الاغتصابات والاعتداءات والتنكيل الجنسي هي من أساليب التعذيب التي تترك آثاراً نفسية بليغة، وتُمثل 24 % من مجموع عدد المعذّبين. وبسبب التزام ضحايا

© 2003-2011 Hoggar | www.hoggar.org معهد الهوڤار

الاغتصاب الصمت يبقى المدى الحقيقي لهذه الممارسة مجهولاً تماماً. إن الصمت رد من الردود النفسية التي تميز حال الضحية بعد تعـــرّضها للاغتـــصاب، فلا تتوقف معاناة الضحية عند توقف التعذيب بل تتواصل من خلال الأعراض الجسدية والصدمة والإهانة والعار، والخـــوف والشعور بالدونية، إلى درجة أن الضحية تصل إلى حالـــة نفســـية تجعلها لا تصدق بأن الذي حدث لها هو واقع فعلي، وكأن ذلك رفض ذهني وتخـــدير إحساسي للتخلص من ألـــم لا يطاق.

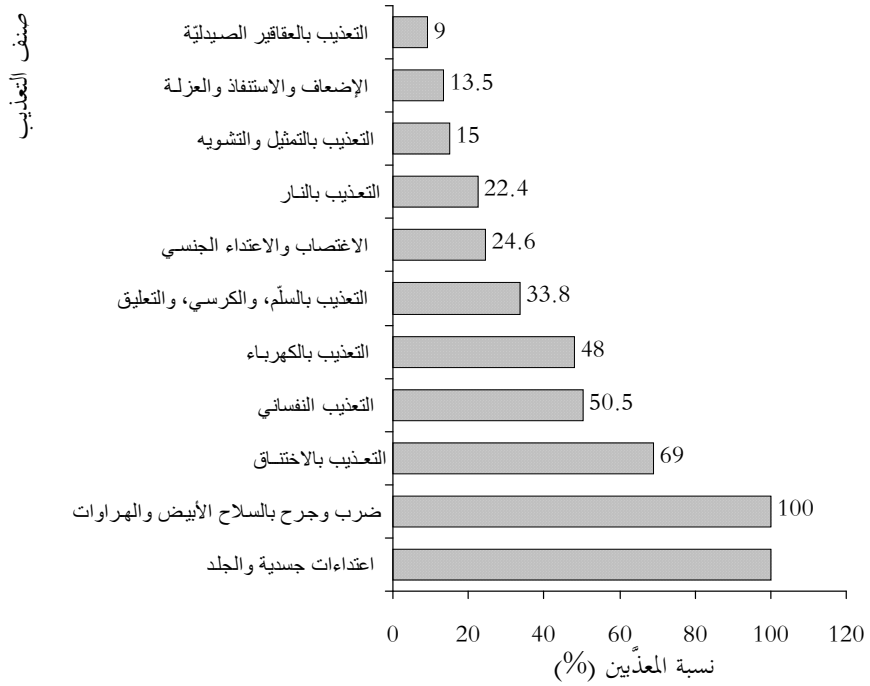

الشكل 3: نسبة عدد المعذّبين وفق أنواع التعذيب.

أمّا التعذيب بالنار بمختلف أشكاله فتبلغ نسبته 22 % مـــن الحـــالات. ويشـــمل التعذيب بالتنـــكيل لمختلف الأعضاء 15 % من مجموع المعـــذَّبين. أمّـــا التعـــذيب بالإضعاف والأرق والاستنـــفاذ والعزلة فبلغت نسبته 13 %. أمّا الحرمان من المـــاء والغذاء لعـــدّة أيام والنظام الغذائي الفقير – الذي قد يمتدّ لفترات أطول – فلا يُعتـــبر تعـــذيباً في نظر الضـــحايا.

© 2003-2011 Hoggar | www.hoggar.org

وأخيراً تبلغ نسبة التعذيب بواسطة العقاقير الصيدلية 13 % من مجموع الحالات، رغم أنه قِلّما يفهم وينتبه المعذبون لهذا النوع من التعذيب.

أما الآن فنُمثّل في الشكل رقم 4 عدد المعذَّبين حسب الهيئات القمعية الثلاث (شرطة، درك، أمن عسكري)، وذلك لتفحّص توزيع المعذبين على مختلف المؤسسات التعذيبية.

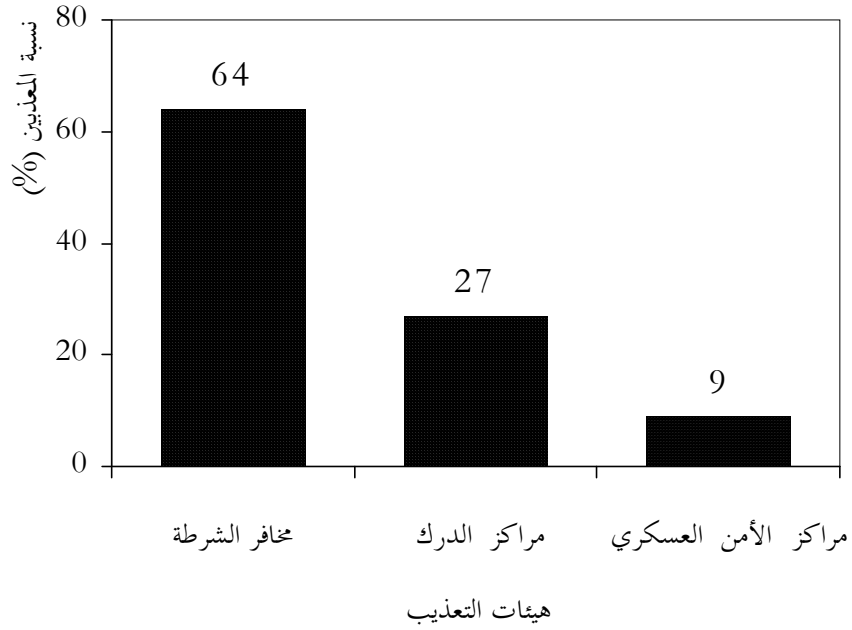

الشكل 4: توزيع المعذَّبين على مختلف المؤسسات الأمنية التابعة للدولة.

نلاحظ من خلال الشكل 4 أن 64 % من المعذَّبين تعرّضوا للتعذيب بمقرات الشرطة، 27% بمقرات الدرك الوطني، و9 % بمقرات الأمن العسكري. ويمكن تفسير ذلك بأن الشرطة تتدخّل في المدن، والدرك في القرى والأرياف، أمّا الأمن العسكري فلا يُشرف إلاّ على الحالات التي يعتبرها خاصة، وتفسير ذلك يتناسب مع درجة الاحتراف والتحكم في ممارسة التعذيب، حيث نجد الأمن العسكري يفوق الدرك الوطني في هذه الدرجة، والدرك بدوره يفوق درجة الشرطة، وهكذا فإن تسرب المعلومات يقلّ كلما ارتفع مستوى تلك الدرجة.

© 2003-2011 Hoggar | www.hoggar.org

إن الهيئات الثلاث تعمل بالتنسيق مع بعضها، وغالباً ما تُعذَّب نفس الضحية في أكثر من هيئة. في الرسم البياني في الشكل 2 لم تؤخذ بعين الاعتبار إلاّ الهيئة الأولى التي عذَّبت الضحية.

3. نظاميات الموت تحت التعذيب

إن عينة الوفيات تحت التعذيب التي سنقدّمها مستخرَجة من الشهادات الواردة في *الكتاب الأبيض* الذي نُشر عام 1995 فهي عينة محدودة.

وقد احتوت العيِّنة على 61 حالة وقعت في ولايات الجزائر والبليدة وبومرداس في الفترة ما بين يوليو 1992 ويوليو 1994. ويتراوح سنّ الضحايا في هذه العينة بين 17 سنة و50 سنة.

لقد رُتِّبت الأماكن التي جرى فيها التعذيب وفق ثلاثة أصناف: محافظات الشرطة، مراكز الدرك الوطني وثكنات الأمن العسكري.

ويبيّن الشكل 5 تغيّر عدد الوفيات تحت التعذيب حسب الزمن، فيبيِّن أن أول موجة للوفيات تحت التعذيب وقعت ما بين يناير 1993 ويوليو 1993. أما الموجة الثانية فبدأت في فبراير 1994. ونلاحظ أيضاً أن هذا التغيّر لا يتزامن مع تطور عدد المعذَّبين حسب الزمن الممثّل في الشكل 3، ويعود ذلك إلى أن هاذين التوزيعين ناجمان عن مجموعتين منفصلتين للمعطيات.

يمثل الشكل رقم 6 عدد الوفيات تحت التعذيب حسب السّن. ويبين هذا الشكل أن الفئة التي يتراوح عمرها ما بين 20 و30 عاماً كانت الأكثر تضرراً. وتمثل هذه الفئة نسبة 73 % من مجموع المتوفين تحت التعذيب.

نبين في الشكل رقم 7 مختلف أساليب التعذيب التي سبّبت الوفيات. لقد اعتمدنا معاينة الوفاة في الشهادات كالمعيار لتحديد نوع التعذيب الذي سبّب الوفاة.

تبيّن مختلف أساليب التعذيب المستعمَلة في الشكل 7 أن الاعتداءات الجنسية والجَلد والضرب والجرح بأدوات التعذيب، وكذا التعذيب بالاختناق وبالكهرباء سببّت أكثر من 75 % من الوفيات. وباقي الوفيات يرجع إلى التعذيب بالنار والتنكيل والتعذيب بواسطة السلّم أو الكرسي والتعليق.

© 2003-2011 Hoggar | www.hoggar.org معهد الهوڤار

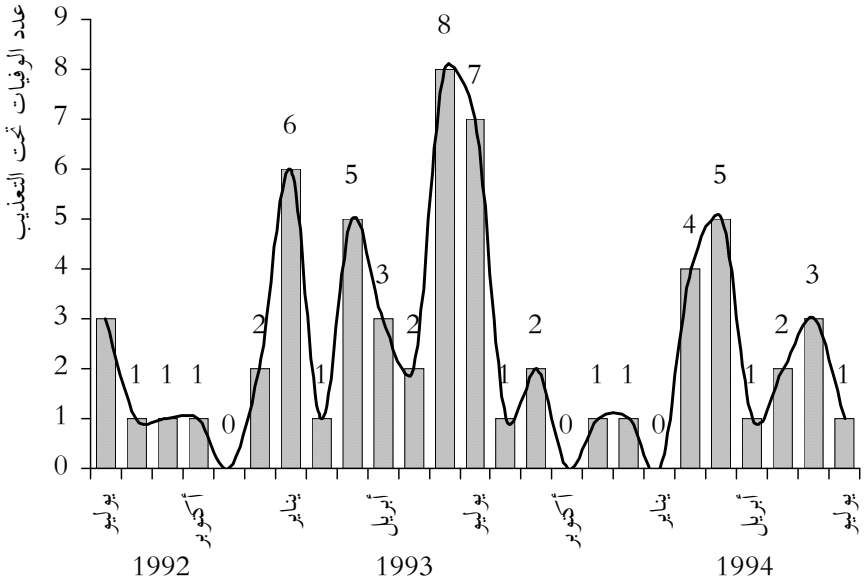

الشكل 5: عدد الوفيات تحت التعذيب وفق الزمن.

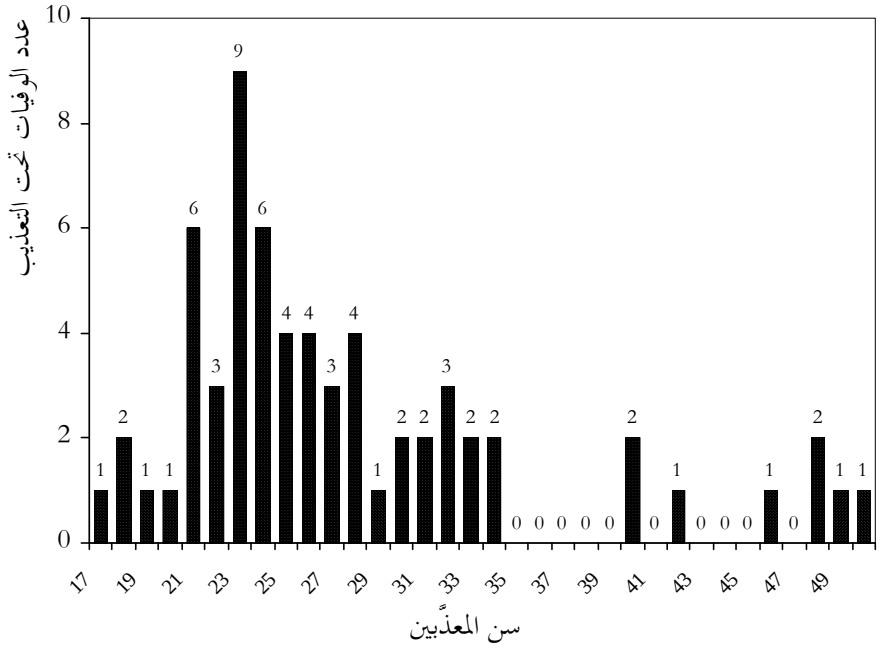

الشكل 6: عدد الوفيات تحت التعذيب بدلالة السّن.

© 2003-2011 Hoggar | www.hoggar.org

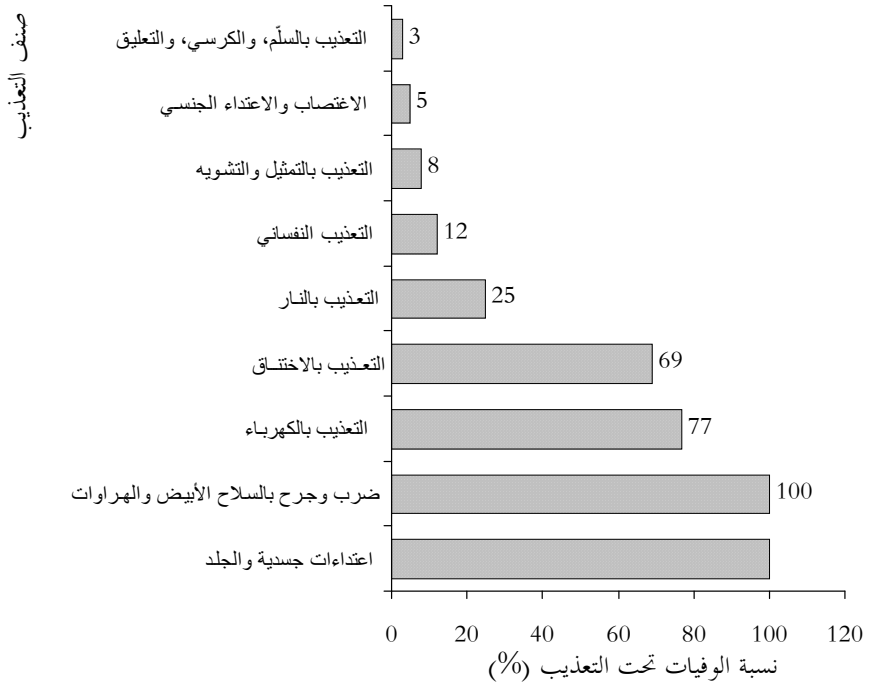

الشكل 7: نسبة الوفيات تحت التعذيب بدلالة أساليب التعذيب.

ويبين الشكل 8 عدد الوفيات تحت التعذيب وفق مراكز القمع التابعة للدولة، فينتج عنه أن 54 % من مجموع الوفيات تحدث في مراكز الشرطة و40 % في مراكز الدرك الوطني. هذا لا يعني أن معاملات مراكز الدرك الوطني أقلّ وحشية من معاملات مراكز الشرطة، لأن هذا الاختلاف النسبي قد يرجع إلى اختلاف عدد المعذَّبين في كلتا المؤسستين؛ وعدد المعذَّبين في بمراكز الشرطة هو الأكبر، كما بيَّنه الشكل 4.

قد يُستقرأ من نسبة 6 % من الوفيات في مراكز الأمن العسكري أن هذه المؤسسة تخص الضحايا بمعاملة أفضل، غير أن هذا الاستقراء مُستبعد لأن سبب انخفاض النسبة يرجع إلى قلة المعلومات التي يمكن أن تتسرب من الأمن العسكري باعتبار هذه المؤسسة أكثر احترافاً وأدق تنظيما من الشرطة أو الدرك.

© 2003-2011 Hoggar | www.hoggar.org

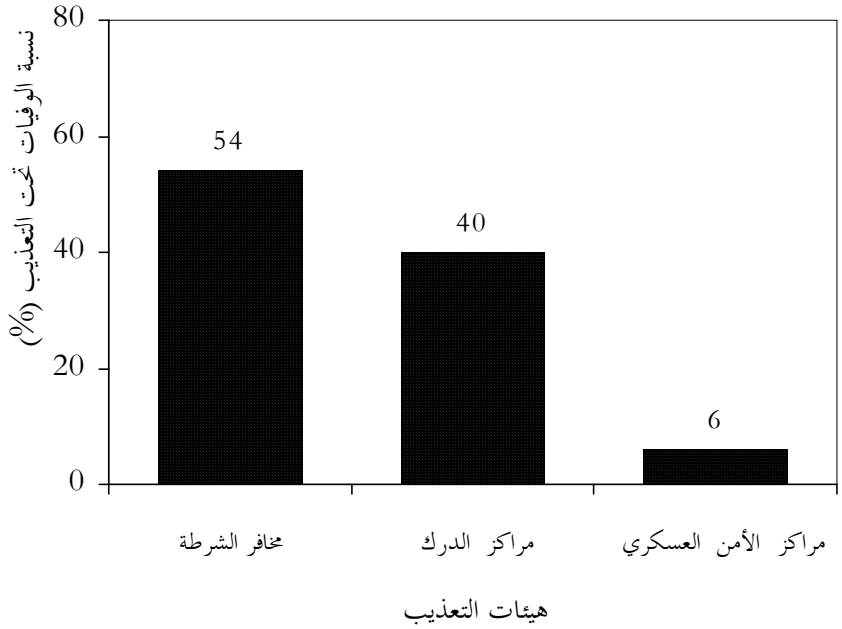

الشكل 8: عدد الوفيات تحت التعذيب في مراكز القمع الرسمية.

© 2003-2011 Hoggar | www.hoggar.org